مختصر كتاب المؤمل للرد الى الامر الاول

ابن ابي شامه

م ١١٦ ٢١٦
مختصر كتاب الموصل للرد الى الأمر الأول . بخط
عبد الرحيم بن محمد صالح بن سليمان الديمن
سنة ١٣١٤ هـ .
١٨٤٤

١٣ق ٢١س ١٨×١٢,٥سم

نسخة جيدة ، خطها نسخ معتاد .

١- أصول الفقه الاسلامي أ - الناسخ
ب - تاريخ النسخ ج - الموصل للرد الى
الأمر الأول

هذا مختصر كتاب المؤمل للرد الى الامر الاول
تصنيف الامام العلامه محيي السنة شهاب
الدين ابي القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل
ابن ابراهيم المعروف بابن ابي شامة
الشافعي رحمه الله رحمة
واسعة ونفعنا الله به
وبعلومه
امين

المختصر في صرف

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على امور الدنيا والدين

الحمد لله رب العالمين ؞ والعاقبة للمتقين ؞ ولا عدوان الا على الظالمين
والصلوة والسلام على اشرف المرسلين ؞ سيدنا ومولانا محمد النبي الامين
وعلى آله الطيبين الطاهرين ؞ واصحابه نجوم الدين ؞ وبعد فهذا
مختصر من كتاب المؤمل ؞ للرد الى الامر الاول ؞ تصنيف الامام العلامه ؞
محيي السنة ؞ شهاب الدين ابي القسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم ؞
المعروف بابن ابي شامه الشافعي قدس الله روحه قال اما بعد
فان العلم قد درست اعلامه ؞ وقل في هذه الازمان اتقانه واحكامه ؞
وآل به الاهمال الى ان عدم احترامه ؞ وقل اجلاله واعظامه ؞ وكاد
يجهل حلاله وحرامه ؞ هذا مع حث الشارع عليه ؞ ووصفه العلماء
بخشيتهم اياه ؞ ورفع درجتهم ؞ وضمهم مع الملائكة في شهادتهم ؞ قال الله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ؞ وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم ؞ وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات ؞ الى غير ذلك من الآيات الكثيرة ؞ والاحاديث
المستفيضة ؞ وقد كان من مضى من الائمة المجتهدين ؞ قائمين بنشر علوم
الاجتهاد ؞ في جميع الافاق ؞ وهم في ذلك متفاضلون ؞ فمنهم المحكم
لعلم الكتاب ؞ ومنهم القائم بامر السنة ؞ ومنهم في العربية ؞ ومنهم
استنباط الاحكام ؞ وقل من اجتمع فيه القيام بجميع ذلك ؞ فكان من
اجمعهم واقومهم به ؞ امامنا ابو عبد الله القرشي المطلبي الشافعي رضي
عنه ؞ جمع النسب الطاهر ؞ والعلم الباهر ؞ وكثرة المآثر ؞ وجل المفاخر
فكان فيه من المناقب والفضائل ؞ ما فرق في كثير من الائمة الافاضل ؞ وشهد له

بذلك

في كل فن سادة اماثل ؞ قال المزني سمعت الشافعي يقول حفظت القرآن وانا
ابن سبع سنين ؞ وحفظت الموطا وانا ابن عشر سنين ؞ وقال يونس بن عبد
الاعلى كان الشافعي اذا اخذ في التفسير كانه شهد التنزيل ؞ وقال
احمد بن محمد ابن بنت الشافعي سمعت ابي وعمي يقولان كان
سفيان بن عيينة اذا جاءه شيء من التفسير والفتيا يسأل عنها
فيقول التفت الى الشافعي فيقول سلوا هذا ؞ وقال له شيخه مسلم بن
خالد وهو مفتي مكة يا ابا عبد الله افت فقد آن لك والله ان
تفتي وهو ابن خمس عشرة سنة ؞ وقال الربيع كان الشافعي يفتي وهو
ابن خمس عشرة سنة ؞ وكان يحيي الليل الى ان مات ؞ وقال ابو نعيم الحافظ
سمعت سليمان بن احمد يقول سمعت احمد بن محمد بن بنت الشافعي
يقول كانت الحلقة في الفتيا بمكة في المسجد الحرام لابن عباس ؞
وبعده لعطاء بن ابي رباح ؞ وبعده لعبد الملك بن جريج ؞ وبعده
لمسلم بن خالد ؞ وبعده لسعيد بن سالم ؞ وبعده لمحمد بن ادريس
الشافعي وهو شاب ؞ قال ابن مهدي سمعت مالكا يقول ما ياتيني
قرشي افهم من هذا الفتى يعني الشافعي ؞ قال ابو عبيد بن سلام ما
رأيت قط افضل ولا اورع ولا افصح من الشافعي ؞ قال هلال بن العلا
الرقي اصحاب الحديث عيال على الشافعي فتح لهم الاقفال ؞ قال اسحق
بن راهويه لقيني احمد بن حنبل بمكة ؞ وقال تعال اريك رجلا لم تر
عيناك مثله فاراني الشافعي قال فتناظرنا في الحديث فلم ار اعلم منه ؞
ثم تناظرنا في الفقه فلم ار افقه منه ثم تناظرنا في القرآن فلم ار اقرأ منه ؞
ثم تناظرنا في اللغة فوجدته بيت اللغة ؞ وما رأت عيناي مثله قط ؞

اعقل

قال فلما فارقناه اخبرني جماعة من اهل الفهم بالقرآن انه كان اعلم الناس في
زمانه بمعاني القرآن وانه قد كان اوتي فهما في القرآن قال احمد بن حنبل
رحمه الله كان الفقهاء اطباء والمحدثون صيادلة فجاء الشافعي طبيبا
صيدلانيا ما مقلت مقلتا العيون مثله وقال ان الله يقيض للناس
في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله الكذب فنظرنا
فاذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي
وقال ايضا اذا سئلت عن مسئلة لا اعرف فيها خبرا قلت فيها بقول
الشافعي لانه امام عالم من قريش وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال عالم قريش يملأ الارض علما وقال كلام الشافعي في اللغة حجة وقال
ابو عثمان المازني الشافعي عندنا حجة في النحو وقال ابو ثور ابراهيم بن
خالد كان الشافعي من معادن الفقه وجهابذة الالفاظ ونقاد
المعاني وقال الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني كان اصحاب الحديث
رقودا حتى جاء الشافعي فايقظهم فتيقظوا ومناقبه كثيرة قد الفت
فيها مؤلفات عديدة.

فصل في صفة اهل العلم

قال عبد الله بن مسعود
ليس العلم بكثرة الحديث ولكن العلم الخشية وقال مالك بن انس ليس العلم
بكثرة الرواية ولكنه نور يجعله الله في قلب من يشاء من خلقه وفي رواية العلم
والحكمة نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل وقال الاوزاعي
كان هذا العلم كريما يتلاقاه الرجال بينهم فلما كتب ذهب نوره وصار الى غير
اهله وفي رواية كان هذا العلم شيئا شريفا اذ كان الناس يتلاقونه
بينهم الخ وقال اذا اراد الله بقوم شرا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل
وقال مالك ليس الجدل من الدين بشيء وقال ايضا المراء في العلم يقسي القلوب

ويورث

ويورث الضغائن وفي جامع الترمذي عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون قال حديث حسن صحيح قال بل كان العلماء
من السلف الصالح اهل نسك وعبادة وورع وزهادة ارادوا الله تعالى بعلمهم
وصانوا العلم فصانهم وتدرعوا من الاعمال الصالحة ما زانهم ولم يشنهم الحرص
على الدنيا وخدمة اهلها بل اقبلوا على طاعة الله التي خلقوا لاجلها فاولئك هم الذين
عناهم الامام الشافعي بقوله ما احد اورع لخالقه من الفقهاء وفي رواية ان لم
يكن الفقهاء اولياء الله في الآخرة فما لله ولي وقال ابن عباس لو ان العلماء اخذوا
العلم بحقه لاحبهم الله والملائكة والصالحون من عباده ولهابهم الناس لفضل
العلم وشرفه وقال وهب بن منبه ان الفقهاء فيما خلا حملوا العلم فاحسنوا حمله
فاحتاجت اليهم الملوك واهل الدنيا ورغبوا في علمهم فلما كان بآخره نشأ علماء
فحملوا العلم فلم يحسنوا حمله فطرحوا علمهم على الملوك واهل الدنيا فاهتضموهم
واحتقروهم وقال ايضا كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم فكانوا
لا يلتفتون الى دنياهم وكان اهل الدنيا يبذلون دنياهم في علمهم فاصبح اهل العلم منا
اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم واصبح اهل الدنيا قد زهدوا
في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم اللهم فجنبنا طريقة قوم لم يعرفوا بحق العلم
وارادوا به الدنيا واعرضوا باعمالهم عن الآخرة من الدرجة العليا فلم ينتفعوا
بحلاوته ولم يستمتعوا بنضارته بل خلقت عندهم ديباجته ورثت حالته وعرف
مقداره جماعة من السادة فعظموه وبجلوه ووقروه واستغنوا به ورأوه بعد
المعرفة افضل ما اعطي البشر واحتقروا في جنبه كل مفتخر وقالوا فما آتاني
الله خير مما آتاكم وكيف لا يكون الامر كذلك والعلم حياة والجهل موت

فبينهما كما بين الحياة والموت ولقد احسن القائل

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله ؛ واجسامهم قبل القبور قبور

وان امرأ لم يحيي بالعلم ميت ؛ وليس له حتى النشور نشور

وقال اسماعيل بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو عنه عليه الصلاة والسلام من قرأ القرآن فكانما استدرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه ومن قرأ القرآن فرأى ان احدا من الخلق اعطي افضل مما اعطي فقد حقر ما عظم الله وعظم ما حقر الله

فصل وصح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلماء فيقبض العلم حتى اذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وما اعظم حظ من بذل نفسه وجهدها في تحصيل العلم حفظا على الناس بما بقي في ايديهم منه فان في هذه الازمنة قد غلب على اهلها الكسل والملل وحب الدنيا وقد قنع بعضهم من علوم القرآن بحفظ سواده ونقل بعض قراءته واغفل علم تفسيره ومعانيه واستنباط احكام الشريعة من مبانيه واقتصر من علم الحديث على سماع بعض الكتب على شيوخ اكثرهم اجهل منه بعلم الرواية فضلا عن الدراية ومنهم من قنع بزبالة اذهان الرجال وكناسة افكارهم وبالنقل عن اهل مذهبه وقد سئل بعض العارفين عن معنى المذهب فاجاب ان معناه دين مبدل قال تعالى ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا الا ومع هذا يتخيل البائس انه من رؤس العلماء وهو عند الله وعند علماء الدين من اجهل الجهلاء بل بمنزلة قس النصارى او حبر اليهود لان اليهود والنصارى ما كفروا الا بابتداعهم في الاصول والفروع وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم

لتركبن

لتركبن سنن من كان قبلكم الحديث **فصل** والعلم بالاحكام واستنباطها كان اولا حاصلا للصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم فكانوا اذا نزلت بهم النازلة بحثوا عن حكم الله تعالى فيها من كتاب الله وسنة نبيه وكانوا يتدافعون الفتوى ويود كل منهم لو كفاه اياه غيره وكان جماعة منهم يكرهون الكلام في مسألة لم تقع ويقولون للسائل عنها اكان ذلك فان قال لا قالوا دعه حتى يقع ثم يجتهد فيه كل ذلك يفعلونه خوفا من الهجوم على ما لا علم لهم به واشتغالا بما هو الاهم من العبادة والجهاد فاذا وقعت الواقعة لم يكن بد من النظر فيها قال الحافظ البيهقي وقد كره بعض السلف للعوام المسئلة عما لم يكن ولم يمض به كتاب ولا سنة وكرهوا للمسئول الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما ابيح للضرورة ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عند الواقعة فلا يغنيهم ما مضى من الاجتهاد واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وعن طاوس قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر احرج بالله على كل امرء مسلم سأل عن شيء لم يكن فان الله قد بين ما هو كائن وفي رواية لا يحل لكم ان تسألوا عما لم يكن فان الله قد قضى فيما هو كائن قلت وفي هذا معنى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء وعن عبد الرحمن بن شريح ان عمر بن الخطاب كان يقول اياكم وهذه العضل فانها اذا نزلت بعث الله لها من يقيمها او يفسرها قلت انما يضطر الى الاجتهاد في الاحكام الحكام ولم يأت الاجتهاد لغير الحكام لحديث معاذ ان لم اجد في كتاب الله فبسنة رسول الله فان لم اجد في سنة رسول الله اجتهد برأيي ولا آلو لانه كان حاكما وقوله عليه السلام اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه شيء وهو حاكم وكذلك

والشافعي رح

لان المجتهد يخطئ رح

قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث كانا حاكمين في الاجتهاد
بمنزلة الميتة قال الشعبي لا يحل تناولها الا عند المخمصة والذي يحكم
ويجتهد برأيه فمثله كمثل رجل تعجز بيته ويعوز اكل الميتة لغلاء ويجوز
لي اكلها ايضا فكذلك لا يجوز الا ان يحتج بقول المجتهد يخطئ ويصيب
فاذا كان شيئا يحتمل ان يكون صوابا وخطأ فتركه اولى مثل الشبهات من الطعام
تركه اولى من تناوله وعن الصلت بن راشد قال سألت طاوسا عن شيء فقال اكان هذا
قلت نعم قال الله الذي لا اله الا هو ثم قال ان اصحابنا حدثونا عن معاذ بن جبل رضي
الله عنه انه قال يا ايها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله فيذهب بكم ها هنا وها هنا
وان لم تعجلوا قبل نزوله لم ينفك المسلمون ان يكون فيهم من اذا سئل سدد
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تستعجلوا بالبلية قبل نزولها فانكم اذا فعلتم ذلك
لا يزال منكم من يوفق ويسدد وانكم اذا استعجلتم بها قبل نزولها تفرقتم وكان
ابن عمر اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس فضعها
في عنقه اشارة الى ان الفتوى والقضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة
قلت بهذا السبب اختلف اليهود والنصارى وزادوا عليهم حتى صاروا اثنين
وسبعين فرقة وحكم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من اصحاب النار كما شهد على
العشرة انهم من اصحاب الجنة وقال مسروق سألت ابي بن كعب عن شيء فقال اكان
بعد قلت لا قال فاصبر حتى يكون فاذا كان اجتهدنا لك رأينا وقال
عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ما منهم احد يحدث بحديث الا ود ان اخاه كفاه اياه ولا يستفتى عن شيء الا ود
ان اخاه كفاه الفتيا وفي رواية يسأل احدهم المسألة فيردها هذا الى هذا حتى
يرجع الى الاول ثم بعد الصحابة اراد الله ان يصدق نبيه في قوله تفترق امتي على

بضع

صح عليك فقد ان اماما الشافعي
مع تقليد غيره

بضع وسبعين فرقة اعظمها فتنة على امتي قوم يقيسون الامور برأيهم فيحلون
الحرام ويحرمون الحلال رواه البزار في مسنده عن جبير بن نفير عن عوف بن
مالك الاشجعي عنه صلى الله عليه وسلم فلما كثرت الوقائع والنوازل في التابعين
ومن بعدهم واجتهدوا واثارهم من اضطر ومن لم يضطر ووصلت الى من
بعدهم من الفقهاء ففرعوا عليها وقالوا اذا اجتهدوا في الحاق غيرها بها فعقدت
مسائل الفقه وشكلهم البيهقي وكونوا في صدورهم واختلفوا اختلافا كثيرا
سنذكره في فصل وكانت تلك الازمنة مملوءة بالمجتهدين فكل صنف على ما رأى
وتعقب بعضهم على بعض مستمدين من الاصلين الكتاب والسنة وترجيح الراجح
من اقوال السلف المختلفة بغير هوى ولم يزل الامر على ما وصفت الى ان تقررت
المذاهب المدونة ثم اشتهرت المذاهب الاربعة وهجر غيرها فقصرت هممم اتباعهم الا
قليلا منهم فقلدوا بعد ما كان التقليد لغير الرسل حراما بل صارت اقوال ائمتهم عندهم
بمنزلة الاصلين وذلك معنى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله فعدم المجتهدون وغلب المقلدون وكثر التعصب وكفروا برسل الرسول حيث
قال يبعث الله في كل رأس مائة سنة من ينفي تحريف الغالين وانتحال المبطلين
وحجروا على رب العالمين مثل اليهود ان لا يبعث بعد ائمتهم وليا مجتهدا حتى
آل بهم التعصب الى ان احدهم اذا اورد عليه شيء من الكتاب او السنة الثابتة
على خلاف مذهبه يجتهد في دفعه بكل سبيل من التأويل البعيدة نصرة لمذهبه ولقوله ولو
وصل ذلك الى امامه الذي يقلده لقابله ذلك الامام بالتعظيم وصار اليه
وتبرأ اليه من رأيه مستعيذا بالله من الشيطان الرجيم وحمد الله على ذلك ثم تفاقم
الامر حتى صار كثير منهم لا يرون الاشتغال بعلوم القرآن والحديث ويرون ان
ما هم عليه هو الذي ينبغي المواظبة عليه فبدلوا بالطيب خبيثا وبالحق باطلا

واشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ثم نبع قوم
آخرون صارت عقيدتهم في الاشتغال بعلوم الاصليين يرون ان اولى منه
الاقتصار على نكت خلافية وضعوها واشكال منطقية الفوها وقال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه اتهموا الرأي على الدين وقال سهل بن حنيف اتهموا
الرأي في دينكم وقال عبد الله بن مسعود يحدث قوم يقيسون الامور برأيهم
فيهدم الاسلام قلت ما عبدت الشمس والقمر والنجوم الا بالرأي ولا قالت
النصارى ثالث ثلاثة ولا ان الله هو المسيح بن مريم ولا اتخذ الله ولدا الا
بالرأي وكذلك كل من عبد شيئا من دون الله انما عبده برأيه فانظر الى
قول السامري وكذلك سولت لي نفسي وقال عبد الله بن عمر لا يزال الناس على
الطريق ما اتبعوا الاثر وروى الشعبي عن عبد الله بن عمر اياكم واصحاب الرأي
فانهم اعداء السنن اعيتهم الاحاديث ان يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا واضلوا
وقال الاوزاعي عليكم بآثار من سلف وان رفضك الناس واياك ورأي الرجال وان
زخرفوه لك بالقول وقال ايضا اذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا
فاياك ان تقول بغيره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبلغا عن الله تبارك وتعالى
وقال ايضا العلم ما جاء عن اصحاب محمد وما لم يجيء عن اصحاب محمد فليس بعلم يعني ما لم
يجيء اصله عنهم وقال الشعبي اذا جاءك الخبر عن اصحاب محمد فضعه على رأسك واذا
جاءك عن التابعين فاضرب به اقفيتهم وقال سفيان الثوري العلم كله
بالآثار وقال ابن المبارك ليكون الذي تعتقد عليه الاثر وخذ من الرأي ما يفسر لك
الحديث وقال احمد بن حنبل سألت الشافعي عن القياس فقال عند الضرورات
وكان احسن امر الشافعي عندي انه اذا سمع الخبر لم يكن عنده قال به وترك
قوله وقال الشافعي القياس كالميتة اذا احتجت اليها فشانك بها قلت

ما احسن

ما احسن قول القائل

تجنب ركوب الرأي فالرأي ريبة ... عليك بآثار النبي محمد
فمن يركب الآراء يعم عن الهدى ... ومن يتبع الآثار يهدى ويحمد

وقول الآخر ايضا

دين النبي محمد اخبار ... نعم المطية للفتى الآثار
لا ترغبن عن الحديث واهله ... فالرأي ليل والحديث نهار

وقال بعض المغاربة

انظر بعين الهدى ان كنت ذا نظر ... فانما العلم مبني على الاثر
لا ترض غير رسول الله متبعا ... ما دمت تقدر في حكم على خبر

ولم يختلف المفسرون فيما وقفت عليه من كتبهم في ان معنى قوله تعالى فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول ان تقديره الى قول الله وقول الرسول فيجب رد
جميع ما اختلف فيه الى ذلك فما كان اقرب اليه اعتمد صحته واخذ به ولذلك قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ردوا الجهالات الى السنة وهذه كانت طريقة العلماء
الاعلام ائمة الدين وهي طريقة امامنا ابي عبد الله الشافعي ولهذا قال احمد بن
حنبل ما من احد وضع الكتب حتى ظهرت خطأ واتبع للسنة من الشافعي فان الشافعي
رحمه الله احتاط لنفسه وعلم ان البشر لا يخلو من السهو والغفلة وعدم الاحاطة
فصح عنه من غير وجه انه امر اذا وجد قوله على مخالفة الحديث الصحيح الذي يصح
الاحتجاج به ان يترك قوله ويؤخذ بالحديث انبأنا القاضي ابو القاسم عمر اخبره
الحافظ ابو بكر احمد بن حسين البيهقي انبأنا ابو عبد الله الحافظ ثنا ابو العباس
محمد بن يعقوب قال سمعت الربيع ابن سليمان يقول سمعت الشافعي يقول اذا
وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة ودعوا ما قلت

ظهرت

وقال صاحب الشافعي المزني في اول مختصره اختصرت هذا من علم الشافعي ومن معنى
قوله لاقربه على من اراده مع اعلامي نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه
ويحتاط فيه لنفسه اي مع اعلامي من اراد علم الشافعي نهي الشافعي عن
تقليده وتقليد غيره: قال الماوردي صاحب الحاوي: قوله ويحتاط لنفسه
اي يطلب الاحتياط لنفسه بالاجتهاد في المذاهب وترك التقليد بطلب الدلالة
اهـ: فعلى هذا كان السلف الصالح يتبعون الحق حيث كان ويجتهدون
في طلبه وينهون عن التقليد: فصل ثم ان المصنفين من اصحابنا المتفقهين
بالصفات المقدمة من الاتكال على نصوص امامهم معتمدين عليها اعتماد
الائمة قبلهم على الاصلين الكتاب والسنة: قد وقع في مصنفاتهم خلل كثير من
وجهين عظيمين الاول انهم يختلفون كثيرا فيما ينقلونه من نصوص الشافعي
وفيما يصححونه منها وصارت لهم طرق مختلفة خراسانية وعراقية فترى هؤلاء
ينقلون عن امامهم خلاف ما ينقله هؤلاء والمرجع في هذا كله الى امام واحد
وكتبه مدونة مروية موجودة: افلا كانوا يرجعون اليها وينقون تصانيفهم
من كثرة اختلافهم عليها واجود تصانيف اصحابنا من الكتب فيما يتعلق بنصوص
الشافعي كتاب التقريب ~~ثني عليه المتاخرون~~ اخبر المتاخرين بنصوص الشافعي
وهو الامام الحافظ ابو بكر البيهقي: الوجه الثاني ما يفعلونه في الاحاديث
النبوية والآثار المروية: من كثرة الاستدلال بالاحاديث الضعيفة
على ما يذهبون اليه نصرة لقولهم وينقصون من الفاظ الاحاديث وتارة
يزيدون فيه وما اكثره في كتب ابي المعالي وصاحبه ابي حامد نحو اذا اختلف
المتبايعان تحالفا وترادا: ومن العجب ما ذكره صاحب المهذب في اول باب
ازالة النجاسة: قال واما الغائط فهو نجس لقوله صلى الله عليه وسلم لعمار انما تغسل

ثوبك من الغائط والبول والمني والدم والقيء ثم ذكر بعد ذلك طهارة مني الآدمي
ولم يتعرض للجواب عن هذا الحديث الذي هو حجة خصمه ولم يكن له حاجة الى
ذكره اصلا فان الغائط لا ضرورة الى الاستدلال على نجاسته بهذا الحديث
الضعيف المنتهض حجة عليه في امر آخر: ومن قبيح ما يأتي به بعضهم يحتج بخبر
ضعيف هو دليل خصمه عليه فيوردونه معرضين عما كانوا اضعفوه: ففي كتاب
الحاوي والشامل وغيرهما شيء كثير مع هذا وهم مقلدون لامامهم الشافعي
فهلا اتبعوا طريقته في ترك الاحتجاج بالضعيف وتعقبه على من احتج بذلك
وتبيين ضعفه ثم ان مذهبه ترك الاحتجاج بالمراسيل الا بشروط: ولو ذكر
سند الحديث وعرفت عدالة رجاله الى التابعي وسقط من السند ذكر الصحابي
كان مرسلا ويورد هؤلاء المصنفون هذه الاحاديث محتجين بها بلا اسناد: اصلاح
فيقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظنون ان ذلك حجة واما امامهم
يرى ان لو سقط من السند الصحابي وحده لم يكن حجة وكذا لو سقط غير الصحابي من
السند فليتهم اذ عجزوا عن اسانيد الاحاديث ومعرفة رجالها عزوها الى
الكتب الذي اخذوها منها ولكنهم لم ياخذوا تلك الاحاديث الا من كتب من
سبقهم من مشايخهم ممن هو على مثل حالهم فبعضهم ياخذ من بعض فيقع
التغيير والزيادة والنقصان فيما صح اصله ويختلط الصحيح بالسقيم وهذا
كله غير مستقيم بل الواجب في الاستدلال على الاحكام: وبيان الحلال والحرام
ان من يستدل بحديث يذكر مسنده ويتكلم عليه بما يجوز الاستدلال به
او يعزوه الى كتاب مشهور من كتب اهل الحديث المعتمدة فيرجع من يطلب صحة
الحديث وسقمه الى ذلك الكتاب وينظر في سنده وما قال ذلك المصنف او غيره
فيه: وقد يسر الله تعالى وله الحمد الوقوف على ما ثبت من الاحاديث وتجنب ما ضعف منها

بما جمعه علماء الحديث في كتبهم من الجوامع والمسانيد فالجوامع هي المرتبة
على الابواب من الفقه والرقائق والمناقب وغير ذلك فمنها ما اشترط فيه
الصحة اذ لا يذكر فيه من الاحاديث الا صحيح على ما شرط مصنفه ككتاب البخاري ومسلم
وما الحق بهما واستدرك عليهما وكصحيح امام الائمة محمد بن اسحق بن خزيمة
وكتاب ابي عيسى الترمذي وهو كتاب جليل مبين فيه الحديث الصحيح والحسن
والغريب والضعيف وغيره من الائمة فقه كثير ثم سنن ابي داود والنسائي
وابن ماجه ومن بعدهم سنن ابي الحسن الدارقطني والتقاسيم لابي حاتم
ابن حبان وغيرهما ثم ما رتبه وجمعه الحافظ ابو بكر البيهقي في سننه الكبير
من الاوسط والصغير التي اتى بها على ترتيب مختصر المزني وقربها الى
الفقهاء بجهده فلا عذر لهم ولا سيما الشافعية منهم في تجنب الاشتغال
بهذه الكتب النفيسة المصنفة في شروحها وغريبها بل افنوا زمانهم
وعمرهم في النظر في اقوال من سبقهم من متاخريه وتركوا النظر في نصوص
نبيهم المعصوم من الخطا واثار اصحابه الذين شهدوا الوحي وعاينوا
المصطفى وفهموا مراد النبي فيما خاطبهم بقرائن الاحوال اذ ليس الخبر كالمعاينة
فلا جرم حرم هؤلاء رتبة الاجتهاد وبقوا مقلدين على الاباد وقد كانت
العلماء في الصدر الاول معذورين في ترك ما لم يقفوا عليه من الحديث لان الاحاديث
لم تكن فيما بينهم مدونة انما كانت تتلقى من افواه الرجال وهم متفرقون
في البلاد ولو كان الشافعي وجد في زمانه كتابا في احكام السنن اكبر من
الموطا لحفظه مضافا الى ما تلقاه من افواه مشايخه فلهذا كان الشافعي بالعراق
يقول لاحمد بن حنبل اعلموني بالحديث الصحيح اصر اليه وفي رواية اذا صح الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا لي حتى اذهب اليه ثم جمع الحفاظ الاحاديث المحتج بها في كتب

ونوعوها

ونوعوها وقسموها وسهلوا الطريق اليها فبوبوها وترجموها وبينوا
ضعف كثير منها وصحته وتكلموا في عدالة الرجال وجرح المجروحين منهم وفي علل
الاحاديث ولم يدعوا للمشتغل شيئا يتعلل به وفسروا القرآن والحديث
وتكلموا على غريبها وفقهها وكل ما يتعلق بها من مصنفات عديدة
جليلة فالالات متهيئة لطالب حاذق ولذي همة وذكاء وفطنة
وائمة الحديث المعتبرون هم القدوة في فنهم فوجب الرجوع اليهم في ذلك
وعرض اراء الفقهاء على السنن والاثار الصحيحة فما ساعده الاثر فهو المعتبر
والا فلا نبطل الخبر بالرأي بل نضعفه ان كان على اختلاف وجوه الضعف
من علل الحديث المعروفة عند اهله او باجماع الكافة على خلافه وقد يظهر
ضعف الحديث وقد يخفى واقرب ما يتوصل به في ذلك انك متى رأيت حديثا
خارجا عن دواوين الاسلام كالموطا ومسند احمد والصحيحين وسنن
ابي داود والترمذي والنسائي ونحوها مما تقدم ذكره ومما لم نذكره
فانظر فيه فان كان له نظير في الصحاح او الحسان قرب امره وان رأيته يباين
الاصول وارتبت به فتامل رجال اسناده واعتبر احوالهم من الكتب المصنفة
في ذلك واصعب الاحوال ان يكون رجال الاسناد كلهم ثقات ويكون متن
الحديث موضوعا عليهم او مقلوبا او قد جرى فيه تدليس ولا يعرف هذا
الا النقاد من علماء الحديث فان كنت من اهله والا فسل عنه اهله قال الاوزاعي
كنا نسمع الحديث فنعرضه على اصحابنا كما نعرض الدرهم الزيف فما عرفوا منه اخذنا
وما انكروا تركنا فالتوصل الى الاجتهاد بعد جمع السنن في الكتب المعتمدة اذا
رزق الانسان الحفظ والفهم ومعرفة اللسان اسهل منه قبل ذلك لولا قلة همم
المتاخرين وعدم المعتبرين ومن اكبر الافات تعصبهم وتقيدهم برفق الوقوف

فصل وجدال الكثير المصدرين منهم على ما هو المعروف الذي هو منكر مألوف
فاذا ظهر هذا وتقرر تبين ان التعصب لمذهب الامام المقلد ليس هو باتباع اقواله
كلها كيف ما كانت بل بالجمع بينها وبين ما ثبت من الاخبار والآثار
ويكون الخبر هو المتبع ويوجه له كلام ذلك الامام بتنزيله على الخبر
والآثار والامر عند المقلدين او اكثرهم بخلاف هذا انهم يؤولونه تنزيلا
له على نص امامهم ثم الشافعيون كانوا اولى بما ذكرناه لنص امامهم على ترك
قوله اذا ظفر بحديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافه فالتعصب له على
الحقيقة انما هو امتثال امره في ذلك وسلوك طريقته في قبول الاخبار والبحث عنها
والتفقه فيها وقد نقلت ما روي عنه في ترجمته في تاريخ دمشق قال الربيع
قال الشافعي قد اعطيتك جملة تغنيك ان شاء الله تعالى لا تدع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حديثا ابدا الا ان يأتي عن رسول الله صح الخبر منها عند اهل النقل بخلاف ما قلت فتعمل بما قلت
لك في الاحاديث اذا اختلفت وفي رواية اذا وجدتم عن رسول الله سنة خلاف قولي
فخذوا السنة ودعوا قولي فاني اقول بها وفي رواية اذا وجدتم في كتابي خلاف
سنة رسول الله فدعوا ما قلت وفي رواية كل مسئلة تكلمت خلافه فانا راجع في
حياتي وبعد مماتي قال سمعت الشافعي يقول وروى حديثا فقال له رجل
تأخذ بهذا يا ابا عبد الله فقال متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا
فلم آخذ به فاشهدكم ان عقلي قد ذهب واشار بيده على رؤوسهم وفي رواية
روى حديثا فقال له قائل تأخذ به فقال له تراني مشركا او تراني في وسطي
زنارا او تراني خارجا من كنيسة نعم آخذ به آخذ به وذلك الفرض على كل مسلم
وقال حرملة قال الشافعي كل ما قلت وكان قول النبي صلى الله عليه وسلم خلاف
قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم اولى ولا تقلدوني وفي كتاب ابي حاتم

عن ابي ثور

عن ابي ثور قال سمعت الشافعي يقول كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي
وان لم تسمعوه مني وفيه عن الحسين الكرابيسي قال قال لنا الشافعي
ان اصبتم الحجة في الطريق مطروحة فاحكوها عني فاني قائل بها وقال
الربيع سمعت الشافعي يقول ما من احد الا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتعزب عنه فمهما قلت من قول او اصلت من اصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولي قال
وجعل يردد هذا الكلام قال وقال الشافعي من تبع سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وافقته ومن غلط فتركها خالفته صاحبي الذي لا افارق
الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الزعفراني كنا لو قيل لنا
عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قلنا هذا
ماخوذ وهذا غير ماخوذ حتى قدم علينا الشافعي فقال ما هذا اذا صح
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ماخوذ به لا يترك لقول غيره قال فنبهنا
على شيء لم نعرفه يعني نبهنا على هذا المعنى قال ابو بكر الاثرم كنا عند
البويطي فذكرت حديث عمار في التيمم فاخذ السكين وحك من كتابه
وصيره ضربة وقال هكذا اوصانا صاحبنا اذا صح عندكم الخبر فهو قولي
قال المصنف قلت هذا من البويطي فعل حسن موافق للسنة ولما امر
امامه واما الذين يظهرون التعصب لاقوال الشافعي كيف ما كانت وان
جاءت سنة بخلافها فليسوا متعصبين في الحقيقة لانهم لم يمتثلوا ما امر
به امامهم بل داهنوهم وديدنهم اذا ورد عليهم الحديث الصحيح هو مذهب امامهم من قوله
قد امر بتركه عند وجدان ما يخالفه من السنة هذا مع كونهم عاصين بذلك
لمخالفتهم ظاهر كتاب الله وسنة رسوله والعجب ان منهم من يستجيز مخالفة

لعدم وقوفهم عليه او لكونه لم يصح عندهم
او يحمله على محامل او رفعه ...
لا نقل لهم عن امامهم فيه

نص الشافعي لنص له آخر في مسئلة اخرى بخلافه ثم لا يرون مخالفة نصه
لاجل نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اذن لهم الشافعي في هذا قال البويطي
سمعت الشافعي يقول لقد الفت هذه الكتب ولم آل فيها ولا بد ان يوجد
فيه الخطأ لان الله تعالى يقول ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا فما وجدتم في كتبي هذه ما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه
وفي رواية اني الفت هذه الكتب مجتهدا بنحو ما قبله وفي آخره فاشهدوا علي
اني راجع عن قولي الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كنت قد بليت في قبري
وقال ابراهيم ابن المنذر الحزامي قال ثنا معن بن عيسى القزاز قال سمعت مالكا
يقول انما انا بشر اخطي واصيب فانظروا في رأيي فكلما وافق الكتاب
والسنة فخذوا به وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه وذلك ظني بجميع
الائمة وقد كره الامام احمد ان يكتب فتاويه وكان يقول لا تكتبوا عني شيئا
ولا تقلدوني ولا تقلدوا فلانا وفلانا وخذوا من حيث اخذوا وقال بعضهم
لا تقلدوا دينكم الرجال ان آمنوا آمنتم وان كفروا كفرتم وكان احمد لا
يفتي في طلاق السكران شيئا ويقول ان احللناه يقول هذا حرمناه يقول
هذا وقال ابن حماد سمعت ابا عصمة يقول سمعت ابا حنيفة يقول ما جاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعينين وما جاء عن اصحابه اخترنا
وما كان عن غير ذلك فنحن رجال وهم رجال وروى محمد بن الحسن عن ابي حنيفة
انه قال اقلد من كان من القضاة المفتيين من الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان
وعلي والعبادلة الثلاثة ولا استجيز خلافهم برأيي الا ثلاثة نفر وفي
رواية اقلد جميع الصحابة ولا استجيز خلافهم برأيي الا ثلاثة نفر انس بن
مالك وابو هريرة وسمرة بن جندب فقيل له في ذلك فقال اما انس فاختلط

في آخر عمره وكان يستفتي من علقمة وانا لا اقلد علقمة واما ابو هريرة فكان
يروي كل ما سمع من غير ان يتأمل في المعنى ومن غير ان يعرف الناسخ والمنسوخ
وقال ابن المبارك سمعت ابا حنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى
الرأس واذا جاء عن اصحابه نختار من قولهم واذا جاء عن التابعين
زاحمناهم وفي رواية قال آخذ بكتاب الله فان لم اجد فبسنة رسول الله
فان لم اجد في كتاب الله وسنة رسول الله آخذ بقول اصحابه ثم آخذ بقول من
شئت منهم وادع قول من شئت منهم ولا اخرج من قولهم الى قول غيرهم
فاما اذا انتهى الامر الى ابراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء
وسعيد بن المسيب وعد رجالا الى التابعين فقوم اجتهدوا فاجتهد كما
اجتهدوا قال سفيان الثوري لما بلغه ذلك عن ابي حنيفة نشهم رأينا
لرأيهم وكانه سوى بين الصحابة والتابعين في انهم اذا اجمعوا في
مسئلة على قولين مثلا لم يجز احداث قول ثالث وجوز ابو حنيفة ذلك واما ما
اجمع عليه الصحابة فلا كلام في انه لا يجوز مخالفته فقد وضح لك من اقوال الائمة
انه متى جاء حديث ثابت صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالواجب المصير الى ما دل عليه
ظاهره ما لم يعارضه دليل آخر وهذا هو الذي لا يسع احدا غيره قال الله
عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في
انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فنفى سبحانه الايمان عمن لم
يحكم رسوله فيما وقع التنازع فيه ولم يستسلم لقضائه وقال عز وجل وان
تطيعوه تهتدوا فضمن الهداية سبحانه في طاعة رسوله ولم يضمنها في
طاعة غيره وقال تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما واوعد
على مخالفته فقال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة

او يصيبهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
ضلالا مبينا قال يونس بن عبد الاعلى حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن
نجيح عن مجاهد قال ليس من احد الا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله
عليه وسلم وروي ايضا عن مجاهد باسناد آخر وروي معناه عن
الشعبي وكذلك روى شعبة عن الحكم بن عيينة وروي عن مالك
ابن انس وقال الا صاحب هذا القبر واشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم

فصل كان العلماء من اصحابنا يعتنون بمختصر المزني وبسببه
سهل تحصيل مذهب الشافعي على طلابه في ذلك الزمان وسمعه من
المزني خلق عظيم من الغرباء ورحل اليه بسببه وامتلأت بنسخه
البلدان حتى انه بلغني ان المرأة كانت اذا جهزت للدخول على زوجها حمل
في جهازها مصحف وبنسخة مختصر المزني ويروى عن المزني انه قال بقيت
في تصنيف هذا المختصر ست عشرة سنة وما صليت لله فريضة ولا نافلة
الا سألت الله البركة لمن يعلمه ونظر فيه وكان ابو العباس بن سريج يقول
في المختصر لصيق فؤادي منذ ثلاثون حجة وصيقل ذهني والمفرج عن همي
عزيز على مثلي اضاعة مثله لما فيه من نسج بديع ومن نظم
جموع لانواع العلوم باسرها الله
وعلى ترتيبه وضع الكتب المطولة في مذهب الشافعي قال الحافظ
الحافظ البيهقي تاملت بتوفيق الله اقوال كل احد من الائمة مبلغ
علمي من كتاب الله ثم ما جمعت من السنن والآثار في الفرائض
والنوافل والحلال والحرام والحدود والاحكام فوجدت الشافعي

الكثرهم

اكثرهم اتباعا واقواهم احتجاجا واصحهم قياسا واوضحهم ارشادا وذلك
فيما صنف من الكتب القديمة والجديدة في الاصول والفروع بابين بيان وافصح
لسان قلت ثم اشتهر في آخر الزمان على مذهب الشافعي تصانيف الشيخين
ابي اسحاق الشيرازي وابي حامد الغزالي فاكب الناس على الاشتغال بها
وكثر المتعصبون لهما حتى صار المتبحر المرتفع عند نفسه يرى ان نصوصهما
كنصوص الكتاب والسنة لا يرى الخروج عنها وان اخبر بنصوص غيرهما من
ائمة مذهبه العامر بخلاف ذلك لم يلتفت اليها وقد يقع في بعض مصنفاتهما
قد خالف المصنف فيه صريح حديث صحيح او ساق حديثا على خلاف لفظه او نقل اجماعا
او حكما عن مذهب بعض الائمة وليس كذلك فاذا ذكر لذلك المتعصب الصواب
في مثل ذلك تأذى وصاح وزمجر واخفى العداوة وكان سبيله ان
يفرح بوصوله الى ما لم يكن يعرفه ولكن عمي التقليد اصمه عن سماع العلم المفيد
ويقول المتحذلق منهم المتصدر في منصب لا يستحقه اما كان هؤلاء الائمة
يعرفون هذا الحديث الصحيح الوارد على خلاف نصهم فيرد حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمثل هذا الهذيان الذي لو فكر فيه لكف عنه لان خصمه في مثل هذا
هو الله ورسوله لان الله تعالى افترض علينا طاعة رسوله فقد وصلنا حديثه فلا نرده
بقول احد ثم ان في ذلك ابطال المذهب وهدم لاصله الذي مهده امامه
واسسه وذلك ان الشافعي انما تعقب على من كان قبله من الائمة بمثل ذلك
من دلالات الكتاب والسنة مما ظنه خفي على من سبقه وكان من المحكي ان يقال
له اما كان هؤلاء يعرفون هذا واولئك المتقدمون اولى بذلك من المتأخرين
فلو سمع مثل هذا الهذيان لبطلت المذاهب بل ينبغي للطالب ان يكون ابدا
في طلب ازدياد علم ما لم يعلم من اي شخص كان فالحكمة ضالة المؤمن اينما

وجدها اخذها وعليه بالانصاف وترك التقليد واتباع الدليل فكل احد
يخطي ويصيب الا من شهدت له الشريعة بالعصمة وهو النبي صلى الله عليه وسلم
قال الشافعي في كتاب اختلاف الحديث انبانا سفيان عن عمرو بن دينار
عن سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب نهى عن الطيب قبل زيارة البيت
وبعد الجمرة قال سالم فقالت عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي
هاتين لاحرامه قبل ان يحرم ولحله قبل ان يطوف بالبيت وسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم احق قال الشافعي فترك سالم قول جده عمر في امامته وقبل قول
عائشة وان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم احق وذلك الذي يجب عليه وصنع
ذلك الذين بعد التابعين قلت وما زال اكابر الصحابة مثل ابي بكر
الصديق ومن بعده يخفى عليهم شيء من السنة كميراث الجدة وتوريث
المرأة من دية زوجها ووضع اليدين على الركبتين في الصلاة خفي الاول
على ابي بكر والثاني على عمر والثالث على ابن مسعود حتى نبههم على ذلك
غيرهم ولذلك امثلة عجيبة ومن العجب ان كثيرا منهم اذا ورد على مذهبه
اثر عن بعض اكابر الصحابة يقول مبادرا بلا حياء ولا حشمة مذهب الشافعي في
الجديد ان قول الصحابي ليس بحجة ويرد قول ابي بكر وعمر ولا يرد قول
ابي اسحاق والغزالي ومع هذا يرون مصنفات ابي اسحاق وغيره مشحونة
بتخطئة المزني وغيره من الاكابر فيما خالفوا فيه مذهبهم فلا تراهم
ينكرون شيئا من هذا فان اتفق ان يسمعون احدا يقول اخطأ الشيخ
ابو اسحاق في كذا بدليل كذا وكذا انزعجوا وغضبوا ويرون انه ارتكب كبيرا
من الاثم فان كان الامر كما ذكر وان الذي ارتكبه ابو اسحاق اعظم فما بالهم
لا ينكرون ذلك ولا يغضبون منه لولا قلة معرفتهم وكثرة جهلهم بمراتب

السلف

السلف **فصل** قد تقدم ان الشافعي بنى مذهبه بناء محكما وذلك
انه كان اعتماده على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والنظر الصحيح من
الاجتهاد الراجع الى الكتاب والسنة وترجيح اشبه المذاهب بالكتاب والسنة
وهذا هو الاصل الصحيح القوي الذي يتم البناء عليه الا انه قد يعرض له ما
يعرض لغيره من البشر ممن ليس بمعصوم من الغفلة والنسيان
فاحالنا بتصريح قوله على ان ما صح من اقوال النبي صلى الله عليه وسلم فهو مذهبه
فلم يترك لعائب عيبا ولا لمتنقص من حساده انتقادا فرضي الله عنه
ولهذا قال بعض العلماء لولا الشافعي لغيره اصحاب الرأي ما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم **فصل** هذه الفصول التي ذكرناها فصول حسنة
كثيرة الفوائد مجموعة من عدة مصنفات ينبغي لكل من يعتني بالعلم
النظر فيها والاطلاع عليها وقد رأيت ان اختمها بفصل هو اهمها
واجلها واعمها نفعا واولاها ذكرا وهو ما اعتنى ببيانه الامام ابو
حامد الغزالي رحمه الله في اول كتاب الاحياء من فضل اهل العلم
وبيان العلوم النافعة والتحذير من العلوم الضارة حيث قال
ادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر عنهم
الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم
الطغيان واصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا
والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في اقطار
الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة يستعين بها
القضاة على فصل الخصام عند تهارش الطغام او جدل يتدرع به طالب
المباهاة الى الغلبة والافحام او سجع مزخرف يتوسل به الواعظ

الى السدراج العظام اذ لم يروا ما كمون هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة
للحطام فاما علم طريق الآخرة وما درج عليها السلف الصالح مما سماه الله
تعالى في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد
اصبح بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ثم اثنى على علم المعاملة
وقال هو علم احوال القلب كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا
والزهد والتقوى والقناعة والسخا وحسن الخلق والصدق
والاخلاص وما يذم كالغل والحقد والحسد والغش والكبر
والريا والبخل والتزين للخلق والمداهنة والخيانة وطول الامل
والقسوة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات
القلب مغارس الفواحش والاخلاق المحمودة منبع الطاعات
الى ان قال ولا ينبغي ان يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم
لغير الله فان العلم لايكون الا لله ولان علمهم علم الكتاب والسنة
وان الفقهاء يتعلمون لغير الله لان ما يشتغلون به غير مامور به
وانظر الى اعمار الاكثرين منهم واعتبرهم فانهم ماتوا وهم هلكى على
طلب الدنيا وليس الخبر كالمعاينة وقال ابو سليمان الخطابي دع
الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال
اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم
سبوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك
خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وحقد وخديعة ولا تغتر
باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك
سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم

كانوا

17

كانوا اشد اعدائك ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك ويرونه
حقا واجبا عليك ويعرضون عليك ان يبتذل عرضك ودينك وجاهك
لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض
لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت
متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة قال المصنف
وقد رأيت ان اختمه من عبارات اهل المعرفة والتقوى والعاملين
بالعلم الذين يورثون الخوف والهيبة والخشوع والزهد في الدنيا
روينا عن عبد الله بن خبيق الانطاكي وهو احد السادات العباد قال
سألت يوسف بن اسباط هل مع حذيفة المرعشي علم فقال معه العلم الاكبر
خوف الله وذكر في مجلس احمد بن حنبل معروف الكرخي فقال بعض من حضر
هو قليل العلم فقال احمد وهل يراد من العلم الا ما وصل اليه معروف وقال
عبد الله بن احمد ابن حنبل ذهب ابي ويحيى بن معين الى معروف فقال
ابن معين اسئلني المعنى في سجدتي السهو في الصلاة فقال معروف شرعا
عقوبة للقلب اذ سها وهو بين يدي الله فقال له ابي يا ابا زكريا
هذا من علمك هذا في كتبك او كتب اصحابك وقال الجنيد بن محمد
اتدرون ما فرض الصلاة قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين
يدي الله تعالى قيل له كيف تدخل في الصلاة قال بالقاء سمع وشهود
قلب وحضور عقل وجمع هم وصحة تيقظ وحسن اقبال وتدبر
في ترتيل وقال ابو حاتم محمد بن ادريس الرازي دخلت دمشق
على كتبة الحديث فمررت بحلقة قاسم الجوعي فرأيت نفرا جلوسا
حوله وهو يتكلم عليهم فهالني منظرهم فتقدمت اليهم فسمعته

١٣ق

١٢

يقول اغتنموا من اهل زمانكم خمسا ان حضرتم لم يتعرفوا وان غبتم لم تفقدوا وان شهدتم لم تشاوروا وان قلتم شيئا لم يقبل قولكم وان عملتم شيئا لم تعطوا به واوصيكم بخمس ايضا ان ظلمتم لم تظلموا وان مدحتم لا تفرحوا وان ذممتم لم تجزعوا وان كذبتم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا قال فجعلت هذا فائدتي من دمشق قال المصنف رحمه الله تعالى

فهذا وامثاله هو ثمرة علم العلماء الذين يريدون

الله تعالى بطلب العلم النافع جعلنا

الله منهم بمنه وفضله وكرمه

ووفقنا للسلوك في مناهجهم

برحمته واحسانه

والحمد لله رب

العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

قد تجز القلم بعون الله بارئ النسم على يد اضعف عباد الله الراجي رحمة مولاه عبد الرحيم بن محمد صالح بن المرحوم سليمان الميمني غفر الله له ولوالديه ذنوبهما العظيمة وكان نقلها من نسخة بخط الشيخ احمد بن محمد بن احمد الحضراوي وهو نقلها من نسخة بخط الشيخ محمد بن حميد الشرقي مفتي الحنابلة بمكة المكرمة وكان الفراغ من هذه النسخ يوم الخميس ثماني والعشرون من شهر جمادى الثاني سنة ١٣١٤ الرابع عشرة بعد وثلاثمائة بعد الالف من هجرة من له العز والشرف